"العقبات السبع"

الخطبة الأولى

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}. أمّا بعد:

فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ في دين الله تعالى بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار. أما بعد:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واعلموا أنّ الله أمركم أن تأخذوا بِجَمِيعِ عُرَى الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ، وأن تعملوا بِجَمِيعِ أَوَامِرِهِ، وتتركوا جَمِيعَ زَوَاجِرِهِ مَا اسْتَطَتم مِنْ ذَلِكَ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً}.

ولما كان ذلك لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفةِ طرقِ الشيطان؛ فقد أمركم ربكم أن تجتنبوا مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ فَـ{إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}، وَ{إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}؛ وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} فلا أعظم عداوةً للمسلمِ من عداوةِ الشيطان.

واعلموا -عباد الله- أنّ من عداوةِ الشيطان لكم سعيَه الحثيثَ في أن يظفرَ بكم في عقباتٍ سبع، بعضُها أصعبُ من بعضٍ، لا ينزل من العقبة الشَّاقَّة إلى ما دونها إلّا إذا عجَز عن الظّفر بكم فيها:

فأول هذه العقبات: عقبةُ الكفرِ باللهِ وبدينه ولقائِهِ وصفاتِ كمالِه وما أخبرت به رسلُه عنه، فإنّ الشيطانَ إذا ظفِر بالعبد في هذه العقَبة بردت نارُ عداوتِه واستراح معه.

فإن اقتحَمَ العبدُ هذه العقَبةَ، ونجا منها ببصيرة الهداية، وسلِم معه نورُ الإيمان طلَبه الشيطان على العقبة الثّانية: وهي عقبة البدعة، إمَّا باعتقاد خلافِ الحقِّ الذي أرسل اللهُ به رسولَه وأنزل به كتابَه، وإمّا بالتّعبدِ بما لم يأذن به تبارك وتعالى.

فإن قطع العبدُ هذه العقَبةَ، وخلَص منها بنور السُّـنَّة، واعتصَـم منها بحقيقةِ المتابعةِ وما مضـى عليه السّلفُ الأخيارُ من الصّحابةِ والتّابعين لهم بإحسانٍ، طلبَه الشيطان على العقبة الثَّالثة: وهي عقبةُ الكبائر. فإن ظفِر به فيها زيَّنها له، وحسَّـنها في عينه، وسـوَّفَ به، وفتَح له بابَ الإرجاء وأنَّ الإيمانَ في القلب وما إلى ذلكم.

واعلموا –عباد الله– أنّ ظفرَ الشـــيطانِ بالعبد في عقَبةِ البدعةِ أحبُّ إليه من ظفرِهِ به في عقبةِ المعصـية؛ لمناقضِـة البدعة للدين ودفعِها لما بعث اللهُ به رسـولَه، وصـاحبُها لا يتوب منها، ويدعو الخلقَ إليها؛ ولتضـمُّنها القولَ على الله بلا علمٍ، ومعاداةَ صـريح السُّـنّة، ومعاداةَ أهلها، والاجتهادَ على إطفاء نور السُّنّة، واعتبارَ ما ردَّه اللهُ ورسولُه وردَّ ما اعتبره، وموالاةَ من عاداه ومعاداةَ من والاه، وإثباتَ ما نفاه ونفيَ ما أثبته، وتكذيبَ الصّـادقِ وتصـديقَ الكاذب، ومعارضـةَ الحقِّ بالباطل، وقلبَ الحقائق بجعل الحقِّ باطلًا، والباطلِ حقًّا، والإلحادَ في دين الله، وتعميةَ الحقِّ على القلوب، وطلبَ العوج لصراطِ اللهِ المستقيم، وفتحَ بابِ تبديلِ الدِّينِ جملةً؛ فإنَّ البدعَ تَسْـتدرجُ بصغيرها إلى كبيرها، حتّى ينسـلخَ صـاحبُها من الدِّين، كما تنسَـلُّ الشَّـعرةُ من العجين. فمفاسـدُ البدع لا يقف عليها إلّا أربابُ البصـائر، والعميانُ في ظلمة العَمى {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نور}.

فإن قطَع العبدُ عقبةَ الكبائرِ بعصمةٍ من الله ومعافاة، أو بتوبةٍ نصوحٍ تُنجيه، طَلَبه الشيطان على العقبةِ الرَّابعة: وهي عقبة الصّغائر فكال له منها بالقُفْزان، وقال: ما عليك إذا اجتنبتَ الكبائرَ ما غشِيتَ من اللَّمَم. أَوَما علمتَ بأنَّها تُكفَّر باجتناب الكبائر وبالحســنات؟ ولا يزال يهوّن عليه أمرَها حتّى يُصِـرَّ عليها، ولا صغيرةَ مع الإصرار. وقد قال –صلى الله عليه وسلم –: "إيَّاكم ومحقَّراتِ الذُّنوب"، ثمَّ ضرَب لذلك مثلًا بقومٍ نزلوا بفَلاةٍ من الأرض، فأعوَزَهم الحطبُ، فجعل يجيء هذا بعُودٍ، وهذا بعُودٍ، حتّى جمعوا حطبًا كثيرًا، فأوقدوه نارًا. فكذلك شأنُ محقَّراتِ الذُّنوب تجتمعُ على العبدِ، ويستهينُ بشأنها حتَّى تُهلِكه.

فإن نجا العبدُ من هذه العَقبة بالتحرُّز والتحفُّظ، ودوامِ التَّوبةِ والاستغفار، وإتباعِ السَّيئةِ الحسنةَ لم يقف الشـــيطان عند ذلك بل يطلبه على العقبةِ الخامســـة: وهي عقَبةُ المباحات التي لا حرج على فاعلها. فشـــغَلَه بها عن الاســـتكثار من الطّاعات، وعن الاجتهاد في التّزوُّد لمعاده، ثمَّ طمِع فيه أن يستدرجه منها إلى تركِ السُّـنن، ثمّ من تركِ السُّـنن إلى ترك الواجبات كما هو واقعٌ ومشـاهد، فتجد أنّ بعضَ الناس يقضـي السـاعات الطويلة في اللهو واللعب، فهذا إن سلم من المحرم أفضى به كثرته إلى ترك السنن ومنها إلى ترك الواجبات إلا من رحم الله، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فإن نجا العبد من هذه العقبة ببصيرةٍ تامّةٍ ونورٍ هادٍ، ومعرفةٍ بقدر الطَّاعات والاستكثار منها فبخِلَ بأوقاته وضنَّ بأنفاسه أن تذهب في غير ربحٍ؛ طلَبه العدوُّ على العقبة السّادسة: وهي عقبةُ الأعمالِ المرجوحةِ المفضولة من الطّاعات. فأمرَه بها؛ ليشغله عمّا هو أفضل منها وأعظم ربحًا، لأنّه لما عجَز عن تخسيره الثّواب من أصله طمِعَ في تخسيره كمالَه وفضلَه ودرجاتِه العاليةَ، فشغَلَه بالمفضول عن الفاضل، وبالمحبوب لله عن الأحبِّ إليه، وبالمرضيِّ عن الأرضى له.

ومما يعين العبدَ على النجاةِ من هذه العقبةِ معرفتُهُ بفقهِ الأعمالِ ومراتِبها عند اللهِ تعالى، ومنازلِها في الفضل، والتَّمييزُ بين مفضولِها وفاضلِها، ورئيسِها ومرؤوسها، وسيِّدِها ومسودِها؛ فإنَّ في الأعمال والأقوال سيِّدًا ومسودًا، ورئيسًا ومرؤوسًا، وذروةً وما دونها.

ولكن أين أصحاب هذه العَقَبة! فهم الأفراد في العالم، والأكثرون قد ظفر بهم الشيطانُ في العقَبات الأُوَل. والله المستعان.

بارك الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبِه أجمعين. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنّ الله تعالى إذا منّ على العبدِ بأن نجاه من العقباتِ السابقة، فإنه لم يبق هناك عقَبةٌ يطلبه العدوُّ عليها سوى واحدةٍ لا بدَّ له منها، ولو نجا منها أحدٌ لنجا منها رسلُ الله وأنبياؤه وأكرمُ الخلق عليه. وهي عقَبةُ تسليطِ جندِه عليه بأنواع الأذى باليد واللِّسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير. فكلَّما علَتْ مرتبتُه أجلَبَ الشيطان عليه بخيله ورَجْله، وظاهَرَ عليه بجنده، وسلَّطَ عليه حزبَه وأهلَه بأنواع التَّسليط. وهذه العقَبةُ لا حيلة للعبدِ في التّخلُّص منها، فإنّه كلَّما جدَّ في الاستقامةِ والدَّعوةِ إلى اللهِ تعالى والقيامِ بأمره، جدَّ العدوُّ في إغراءِ السُّفهاء به، {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً}.

وصلوا وسلموا... .